العادات والتقاليد في بلاد السودان (السودان الغربي أنموذجا) خلال القرن العاشر الهجري / السادس عشر الميلادي

د. محمّد علي فرج الغواري قسم التاريخ ـ كلية الآداب - جامعة سبها

الملخص :

تناولت هذه الورقة البحثية التي تتحدث عن العادات والتقاليد في بلاد السودان خلال القرن العاشر الهجري/ السادس عشر الميلادي ، وسلطت الضوء على العادات والتقاليد التي كانت سائدة في المنطقة.

هذا وقد تصدى الإسلام إلى العديد من التقاليد والعادات الافريقية، وأحدث فيها نوعاً من التغيير، وهي عادات لها جدورها في تقاليد بعض الجماعات التي تتنافى مع جوهر العقيدة الإسلامية، ومما لاشك فيه إن الاسلام لم يلغى جميع التقاليد بهذه المناطق ، وانما عدل فيها وفق الشريعة الاسلامية.

وأن احترام الافريقيين لهذه التعاليم الاسلامية يتوقف على مدى تمكن الإسلام منهم وانتشاره بينهم.

تميّزت مناطق بلاد السودان بأن لها عادات وتقاليد اجتماعية أصيلة وموروثة من الحضارة السودانية القديمة ، وأخرى مكتسبة من العادات والتقاليد الإسلامية القادمة من الشمال الإفريقي ؛ ولذا نجد مدن السودان الغربي الإسلامية قد عرفت الاحتفال بالمناسبات الدينية الرمضانية والنبوية ورأس السنة الهجرية ، وكان سلاطين البلاد يدعونها بأنفسهم، فمن التقاليد الإسلامية اهتمامهم البالغ في المحافظة على أوقات الصلاة ، وحضورها جماعة، ويقول ابن بطوطة وإذا كان يوم الجمعة ولم يبكر الإنسان إلى المساجد لم يجد مكانًا يُصلي فيه لكثرة الزحام[1].

كما كانت عنايتهم بحفظ القرآن الكريم وتعليمه وتشجيع أولادهم على حفظه، وإن وجدوا تقصيرًا في هذا من قبل أولادهم عاقبوهم عليه[2]، ومن المُهم القول هنا إن هذا الأمر كان يحصل عن المترفين والميسورين ومن له القدرة من التجارة والملاكين، ومن أبناء الجاليات المسلمة في المدينة، أما الفقراء فلم تكن لهم القدرة على القيام بذلك، فكلُّ أبناء شريحتهم يبكرون يوميًا للمزارع أو الصيد للحصول على قوتهم اليومي ، فمعظمهم

كانوا يعيشون بجهالة لصعوبة حياتهم اليومية كما لم يكن لهم الفرصة أو الوقت لتعلُّم كل هذا[3].

ومن عاداتهم احترام العلماء وتوقيرهم بصـــورة كبيرة، حتى من قبل سلاطينهم، ومن شـــدّة احترام السلطة والناس للمسجد ورجالاتها، كان من يذنب يحتمي بالمسجد أو بدار أو قاضي المدينة ، فلا يستطيع بعدها السلطان أو أي شخص آخـــر أن يقترب منه إلاّ بأمـــر القاضي أو إمام المسجد[4].

وأقيمت المقابر قـــرب المساجد لدفـــن موتاهم ، وأصبحت من تقاليدهم المنقولة إليهم من بلاد المغرب العربـــي بحسب رواية السعدي [5]، فقد كانت هناك مقابر خاصة بالعائلة الحاكمة قرب المسجد الكبير في جاد ، وأخـــرى للعامة والفقهاء والعلماء[6].

ومن التقاليد السودانيـــة الموروثة التي بقيت سائدة لديهم هي تعظيـــم شيوخ قبائلهم وسلاطينهم، والتذلُّل الشديد لهم ، فكانوا يحيون سلاطينهم بالتقريب، أي : أن يضع أحدهم التراب على رأســـه حين رؤيته للسلطان تحية له ، وهي من التقاليد الضاربة منذ القدم عند الشعوب السودانية [7]، وكذلك ميلهم الشديد للمرح والرقص والعزف بالمزامير وآلات الطرب والطبل والغناء طيلة الليل، ويشتركون في الرقص رجالًا ونساءً على الرغم من حرمة ذلك في الغرباء[8].

ويذكر الحســـن الوزان بأن أهل السودان شعب طيّب يحسنون استقبال الغرباء، فيقول: " ويحسنون استقبال الغرباء، ويقضون أوقاتهم في اللهو والمجون، ويرقصون ويولمون بأكثر ما يمكن، يقبلون على أنواع التسلية، وهم في غاية الصراحة"، والفقـــراء منهم يمشون في الأماكن العامة صيفًا عراة حفاة يسترون عوراتهم بمئزر صغير[9].

كما اشتهرت بعض المجامع بعمل الوشـــم على الوجه، والأصداغ، ولبس الأسوار والحلي من قبل الرجال، وإيمانهم بالشعوذة وخرافات العرافة، والتزامهم بالانتساب إلى القبيلة، وهم يتشاركون في هذه التقاليد مع القبائل العربية، فالعرب من الشعوب التي تفتخر بأنسابها، وهم يتمايزون فيما بينهم بانتماءاتهم القبليّة[10].

وعلى الرغم من الفارق بين التقاليد الإسلامية والسودانية الموروثة استطاع سكان الســـودان الغربي أن يمزجوا ما بين الاثنين لينتـــج عنه تقاليد إسلامية ذات طابع سوداني تتفاعل فيه مختلف الشرائح الاجتماعية في السودان الغربي ، وظهر نتاجًا لهذا الامتزاج تقاليد عربية إسلامية إفريقية ، ويمكن استيضاح نماذج من هذه العلاقات

والتقاليد الجديدة من خلال ما سجله الرحالة والجغرافيون والمؤرخون الذين زاروا المنطقة وكتبوا عنها[11].

وإن عادات الزواج ومراسيمه في السودان الغربي تختلف من منطقة لأخرى، وإن اشتركت في بعض الجوانب، ففي بعض المدن تتم مراسم الزواج بأن يخطب الرجل المرأة من وليها أو من ينوب عنها، ويقدم العريس إلى عروسه صداقًا يختلف من شخص لآخر حسب إمكانياته، حيث الخطبة والإعداد للفرح، والمهر، وإقامة الفرح، فكان زواج الملوك يختلف عن زواج العامة من حيث الأعداد، والبذخ، والديباج والحُلّي، وتقديم الولائم، وهذا ما أفادت به رسالة بعثها علـيّ بوجمعة الطرابلسي قاضي قندام إلى أحمد بابا التنبكتي بمدينة تمبكتو عندما تزوج الأول امرأة من قندام قال : "وأبيّن لك بأني تزوجت بنت شيخ بن عبد الله المام في قندام وستأتيك وليمتكم"[12].

وكان من عادة ملوك صنغاي في بعض الأحيان أن يتزوجوا من بنات الملك الذي يغزوه فقد تزوج أسكيا الحاج محمد بنت ملك كانو، عندما غزاه، وفي بعض الأحيان يتزوج من ملوك صنغاي بناتهم إلى كبار التجار والأثرياء، حتى ولو لم يكونوا من البيت الحاكم ، وقد زوَّجَ أسكيا محمد الحاج اثنين من بناته لأخوين من كبار التجَّار.

إن عادة الزواج في مجتمع السودان الغربي كما هي حال المجتمعات غير المسلمة قبل خضوعها للمؤثرات العربية الإسلامية كانت تتسم بالغموض، فلا يوجد تحديد لعدد الزوجات، بل إن المرأة الواحدة يجتمع عليها أكثر من رجل ، كما كانوا يتناكحون بغير صداق[13].

كما أنَّ الزواج كان محصورًا داخل العشيرة الواحدة حفاظًا على تماسكهم، وكان الرجل في تلك المناطق يسمى باسم أمه، ثم باسم عائلة أمه أو قبيلتها، وكانت الأم هي المُسيطرة على النظام العائلي[14] حيث أصبحت القاعدة المُتَّبَعة هي الوراثة من ناحية الأمومة ، وقد علق القلقشندي على هذا بقوله: "...على قاعدة العجم في تمليك البنت وابن البنت"[15].

ومما لا شكّ فيه أن الكثير من العادات والتقاليد الإفريقية ، تختلف اختلافًا بيئيًا مع العادات والتقاليد العربية الإسلامية ؛ فلذلك من الطبيعي أن تتخلى هذه المجتمعات التي اعتنقت الإسلام عن هذه العادات، خصوصًا تلك التي تتعارض مع أسسه وتطمح في تطبيق مبادئه ، لكن هذا التحول لا يكون سهلًا؛ لأن التقاليد القبلية لها جذورها العميقة المتأصلة في حياة الناس وليس بالأمر الهيّن عليهم التخلّي عنها بمجرد اعتناقهم

الإسلام؛ ولهذا لا بدّ من تفاعل بين الثقافة الإفريقية الموروثة والثقافة الإسلامية الوافدة[16].

وإن عادة الزواج في مجتمعات بلاد التكرور، كما هو الحال في المجتمعات الغير المسلمة، كانت تتسم بالهمجية فيقول صاحب نزهة المشتاق واصفًا أهل السودان: "...وهم يتناكحون بغير صـــداق"[17]، بل كانت المرأة الواحدة يضاجعها أكثر من رجل كما قال الحسن الوزان: "...يشتركون في النساء والأولاد"[18].

ومن العادات البارزة في مجتمع السودان الغربي تجدهم يفضلون الزواج من بنات العم لاثم القريبات الأقرب من جهة الأب، ثم من جهة الأم، وهذا يعود لأسباب منها عصبيّة سياسية حيث يضمن بهذا الزواج حفظ الأملاك والأراضي في داخل العائلة الواحدة ، ويجنبه الزواج من داخل العائلة دفع مهور عالية[19].

كما أنَّ هناك جماعات أخرى من مجتمع السودان الغربي الذين يعيشون على نهر النيجر لا يُسمح لهم بالزواج من أولئك الذين يُعرف أن رابطة قرابة تربط بينهم مهما كانت بعيدة، كما تحرمه جماعة أخـــرى الذين يعتبرون أن الخالة أمًا ثانية وأن الزواج من ابنتها عبارة عن فســـق[20].

وقد تحدّث الحسن الوزان عند إقامته بالســـودان الغربي قائلًا: "عند إقامتي عندهم لاحظت أن من عادة النساء أنهن قبل الزفاف إلى أزواجهن، يخضبن بالحناء وجوههن وصدورهن وأذرعهن، وأيديهن إلى رؤوس الأصابع ؛ لأن ذلك مُستحسن عندهم، وقد اتخذ العرب المستعجمة هذه العادة عندما انتقلوا واحتكوا بسكان البلاد الإفريقية[21].

من العادات والتقاليد السيئة:

تعدُّد الزوجـــــات : إن الدارس للأوضاع الاجتماعية لمجتمعات بلاد السودان الغربي وظروفها الحياتية، يُلاحظ أن الظروف كانت مُهيئة لوجود نظام تعدد الزوجات، وذلك إذا عرفنا أن هذه المجتمعات عبارة عن مجتمعات زراعية أكثر منها رعوية، كما أن أغلب أراضي منطقة السودان الغربي تعتبر أراضي منبسطة إلى حد ما ولا توجد بها عراقيل طبيعية إذا ما استثنيت الأنهار التي تخترقها[22].

وإن تعدُّد الزوجات عادة متجذرة في الموروث الاجتماعي في سائر بلاد التكرور، وخاصة عند كبار السن والمستويات الاجتماعية ، ويرى أن التعدد ضرورة بيولوجية وجنسية ؛ إذ إن هذه المجتمعات تقضي بأن تظل الأم منفصلة عن الزوج سنتين حتى

يمشي الولد وطيلة هذه الفترة لا يستطيع الرجل أن يقرب زوجته وإذا فعل ذلك يعتبر جريمة[23].

وإن تعدُّد الزوجات في مجتمعات بلاد السودان قبل خضوعها للمؤثرات الإسلامية كانت تتسم بالفوضى، فلا يوجد تحديد لعدد الزوجات ؛ بل إن المرأة الواحدة كان يجتمع عليها أكثر من رجل[24].

يذكر الحسن الوزان واصفًا هذه المجتمعات قائلًا: "يسكن هذه البلاد قوم يعيشون كالبهائم، ... وليس لأحد منهم امرأة خاصة به ... فهم يجتمعون في الليل، عشرة إلى اثنى عشر رجلًا وامرأة في كوخ ، ويضاجع كل واحد من تعجبه أكثر من غيرها"[25].

وكانت هذه الصورة واضحة لما كانت عليه هذه المجتمعات من التفسُّخ الاجتماعي والهمجية التي تحدثت عنها المصادر التاريخية بشيء من الاستهجان وما التوريث الذي لا يكون إلا في ابن الأخت إلا دليل على أن المرأة في هذه المجتمعات كانت لها حرية الاختلاط والمعاشرة. يتحدث صاحب الاستبصار فيقول: "والزنا عندَّهم مُباح وهنَّ يتلقين التجار إذا أقبلوا إلى بلدهم ويتقارعن على الرجل الجميل منهن أيهن تحمله إلى منزلها"[26].

الزنـــا: في التقاليد السودانية الاجتماعية يعاقب الزاني بزوجة أخرى ، فقد يتعرض الزاني الى القتل على يد الزوج أو أحد أقاربة ، ومثل هذا العقاب لا يستتبع بثأر أو يقض دية في العادات والتقاليد القبلية في بعض مجتمعات السودان الغربي، وقد ينجو الزاني من القتل، لكنه يتعرض لعقاب من نوع آخـــر في بعض المجتمعات الافريقية فقد تقطع خصاء الزاني أو قطع أعضائه التناسلية أو تقطع شفتاه أو تهشم ساقاه وهذا هو الشائع في بعض مجتمعات بلاد السودان الغربي[27].

كما أن العقاب يختلف باختلاف طبقات المجتمع، فإذا كان الزاني من طبقة أدنى من طبقة المرأة ، يكون العقاب بالغ القسوة، كذلك الأمر أذا زنا عبدٌ بحرة ، وكذلك يكون للمكان الذي وقع فيه الزنا أثره في تشديد العقاب، إذ يؤدي ارتكاب الزنا في حقل أو في أرض ، فبتالي يؤثر سلباً على المحاصيل الزراعية نتيجة لغضب الآلهة. وهناك ظروفًا يشدد فيها العقاب وهناك ظروف تخفف في بعض هذه المجتمعات، مثل عجز الزوج جنسيًا، وعقمه أو غيبته عن البيت فترة طويلة، أو عقم الزوجة، أو إذا كانت هناك رابطة قرابة بين الزاني والزوج المجني عليه، ومام يثير الانتباه في المجتمعات القبلية أن المرأة الزانية لا تعاقب بنفس الشدة التي يعاقب عليها عشيقها، لاعتقادهم بأن الخطوة الأولى

في الإغراء باتصال جنسي غير مشـــروع تصدر في الأغلب عن الرجل؛ لذلك من الطبيعي أن يتعرض هو للعقاب الأكبر[28]، وهنا نستنتج أن الزنا كان شائعاً في مجتمعات السودان الغربي، وباعتناق الإسلام حرمت كل أنواع الزنا التي كانت سائدة في بلاد السودان الغربي آنذاك.

عـــادة العُـــريّ : من العادات والتقاليد التي كانت شائعة وتصدّى لها الإسلام وأحدث تغيير فيها ولو بشكل نسبي، فقد كان عندهم عادة اجتماعية شأنها شأن غيرها من العادات الأخرى التي لها جذور في تقاليد بعض الأفارقة، وعادة العُري كان شائعاً في مجتمعات بلاد السودان الغربي، ويتراوح العري بين عري كامل وعري تستر فيه العورة ويكشف عما سواها، ففي كثير من مناطق السودان الغربي تستر النساء عوراتهن ويخرج الرجال عراة دون ستر[29]، كما أشار الحسن الوزان بقوله: " أما في فصل الصيف فيمشون عُراة حُفاة"[30].

والعُري كان شائعًا في المجتمعات القبلية الإفريقية إلى فترة ليست بالبعيدة ، بل لازال سائدًا في بعض المناطق، ويتراوح العُري بين عري كامل وعري تستر فيه العورة ، ويكشف عما سواها ويشير ابن بطوطة بقوله: " ومن عاداتهم وتقاليدهم التي كانت سائدة بالسودان الغربي - أيضًا - عادة العُري"[31]، ويصف صاحب الاستبصار بعض عادات أهل غانة ومنها عادة العري في قوله: " ومن أعمال مدينة غانة ونظرها مدينة سامة ويعرف أهلها بالبكم ، بينها وبين غانة أربعة أيام، وهم يمشون عراة الا أن المرأة تستر فرجها بسيور مظفرة، ونساؤهم يوفرن شعر العانة ويحلقن شعر الرأس[32].

كما أن قبائل الصنغاي كان شائع لديهم عادة العُري، لكن هذه العادة بدأت بالتلاشي بشكل تدريجي بعد اعتناق هذه القبائل الإسلام، ولم يعد يسمع عن العُري بين هذه القبائل إلا في الأطفال الصغار من أبناء الطبقة العامة[33].

وبانتشار الاسلام في مجتمعات السودان الغربي بدأت ظاهرة العري في الاختفاء نتيجة احتكاكها بالمجتمعات الإسلامية وبدأ يسود الشعور بالتستر بحيث يصبح من غير اللائق عدم التزامه، ويستتبع ذلك شعور المرء بالخجل إذا انكشفت عورته.

الاختلاط بين الجنسين: ومن العادات الشائعة في المجتمعات القبليّة في السودان الغربي هو اختلط الفتية والفتيات والرجال والنساء بدون أي حدود ويسهمون في كثير من وجود النشاط الذي تنطوي عليه حياتهم اليومية على قدم المساواة، ويبدأ هذا الاختلاط في مرحلة الطفولة ويستمر حتى نهاية الحياة[34].

كل هذا لا زال شائعًا لديهم مع أنهم كانوا قد اعتنقوا الإسلام من زمن ليس بالقصير، كما روى لنا ابن بطوطة حادثة توضح مدى تجذر هذه الرواسب في عقولهم، وما يؤدي إليه الجهل بتقاليد وعادات الآخرين من سوء الفهم لها وإساءة الظن بأصحابها فيقول: "دخلت يومًا على القاضي بايوالاتن، بعد إذنه في الدخول فوجدت عنده امرأة صغيرة السن ، بديعة الحُسن، فلما رأيتها ارتبت وأردت الرجوع ، فضحكت مني ولم يدركها خجل، وقال القاضي: لم ترجع، إنها صاحبتي، فعجبت من شأنها، فإنه من الفقهاء الحجاج، وأخبرت أنه استأذن السلطان في الحج في ذلك العام مع صاحبته لا أدري أهي هذه أم لا، فلم يأذن له"[35].

كما وصف الحسن الوزان بعض مجتمعات السودان الغربي، بأنهم قوم يعيشون كالبهائم، وليس لأحد منهم امرأة خاصة به، ثم يجتمعون في الليل عشرة إلى اثنى عشر رجلًا وامرأة في كوخ، ويضاجع كل واحد من تعجبه أكثر من غيرها، مرتاحين نائمين على جلود النعاج"[36].

ويُشير – أيضًا- في موضع آخر بقوله: " هـــم بشر لا ديانة لهم نصرانية ولا يهودية ولا إسلامية، بل لا إيمان لهم كالبهائم، يشتركون في النساء والأولاد، وحسب ما سمعته من أحد التجار الذي كان يعيش في هذه البلاد ويفهم لغتهم "[37] ، وينقل لنا ابن عمر التونسي صـــورة أخرى عن عادة أهل الســـودان الغربي بقولـــه : " ومن عاداتهم أن النساء لا يحجبن عن الرجال حتى أن الرجل يدخل فيجد امرأته مختلية مع أحد الرجال فلا يكترث ولا يغتم إلا إذا وجده عليها[38].

الختان والخفض : ومـــن العادات والتقاليد في بلاد السودان الغربي عادة الختان للذكور والخفض للإناث ، ويعتبر الختان من الطقوس الافريقية التي كانت سائدة في المنطقة قبل مجيء الاسلام ، وكان الشاب يختن قبل الزواج، أي : إنه كان مدخلاً للحياة الاجتماعية والسياسية والعسكرية ، بحيث يمنع من أي اتصال جنسي بين المرأة والرجل غير المختون الذي يسمّى عندم الصبي[39].

اما ختان النساء أو الخفض فهي طقوس اجتماعية معروفة منذ القدم في بلاد السودان الغربي ، وقد عرفت هذه المجتمعات عادة الخفض تقليداً متوارثاً قبل قدوم الاسلام، وعندما جاء الإسلام تبنى هذه العادة رغم أن أكثر أهل الإسلام لا يمارسونها[40].

وجرى العرف لدى الكثير من القبائل السودانية في السودان الغربي بتحريم الاتصال الجنسي بين الذكور والإناث قبل إتمام عملية الختان لهم ، ومن العار أن تحمل الفتاة

قبل خفاضها ويتسبب الحمل السابق على الخفض في إصابة الفتاة بنجاسة شديدة كانت تستتبع في بعض القبائل التخلص من الفتاة نفسها، وفي البعض الآخر تفقد مثل هذه الفتاة صلاحيتها كزوجة لأحد أفراد القبيلة[41].

الخاتمـــة :

يتضح لنا من خـــلال دراسة هذه العادات والتقاليد التي كانت عليها مناطق بلاد السودان الغربي على الرغم من وصول الإسلام إليها، لازالت الكثير من الرواسب الوثنية تنخر مفاصل هذه الثقافة ، جنباً إلى جنب مع ازدهار الثقافة العربية الإسلامية في منطقة السودان الغربي ، وهو ما أكّده ابن بطوطة ، والحسن الوزان ، والسعدي، ومحمود كعت ؛ والسبب واضح لأن تعاليم العقيدة الإسلامية لم تتجذّر في نفوس الأفارقة وحتى الحكّام في الكثير من الأمـــور، وكانوا يحتفظون بالكثير من الموروث الثقافي المحلي، وهذا ما أكّده منسا موسى عند زيارته إلى القاهرة في طريقة إلى الحج ، وهو الرجل الذي أسهبت المصادر التاريخية بوصفه من حيث الورع والصلاح والتقوى ، وبالرغم من كل هذا انتُقد في العديد من الأفعال التي لا علاقة للعقيدة الإسلامية بها ، بل تنبذها العقيدة الإسلامية ، فأجاب بكل ثقة أنه لا علم له بذلك في الشريعة الإسلامية وأنه سيتركها.

وتدلّ قرائن الأحوال أنه عندما ترسخت العقيدة الإسلامية في هذه المناطق، وبدأت تضرب بجذورها العميقة في المنطقة ، بدأت التأثيرات العربية الإسلامية في التفاعل داخل هذه المجتمعات ، فبدأت تتخلى بشكل تدريجي عن هذه العادات التي تتنافى وتعاليم الإسلام الذي يأمر بالستر والحجاب، فبدأت تتجه نحو لبس الثياب، فالإسلام يُحرّم كشف العورات بالنسبة للنساء على اعتبار جسدهن كله عورة فيما عدا الوجه والكفّين .

لكن التخلي عن هذه العادات والتقاليد عندهم لن يكون سهلًا ؛ مثل عادة العُري لأنهم يعتبرون أن العُري هو الوضع الطبيعي لهم، ومن عاداتهم التقليدية لذلك فهم لا يرحبون بارتداء الثياب ، ومحاولة إلزامهم عليه تلقى معارضة من جانبهم ؛ لذلك بقيت بعض الجماعات محافظة على هذه العادات حتى بعد اعتناقهم الإسلام، فالعري عادة اجتماعية شأنها شأن غيرها من العادات الاجتماعية لها جذورها في تقاليد الجماعة وطباعها، ومما لا شكَّ فيه أن اعتناق الإسلام وترَسّـــخ مبادئه وتعاليمه وقيمه داخل الجماعات، سيؤدي إلى اختفاء هذه العادات والتقاليد التي سائدة في مجتمعاتهم .

وبتعمق وترسيخ العقيدة الإسلامية في بعض مجتمعات بلاد السودان بدأت الكثير من العادات والتقاليد الشائنة في الاختفاء شيئًا فشيئًا، مثل أكل اللحم البشري، وتقديم القرابين البشرية، ووأد الأطفال، وترتيب الرؤوس، تلك الشرور التي كانت تمثل الطابع الأساسي للمجتمعات ذات المعتقدات المحلية التقليدية، والمعتقدات الوثنية، وكذلك الناس الذين كانوا عُراة لا يغتسلون أصبحوا بفعل هذه المؤثرات وبعد إسلامهم يتأنقون في ملابسهم من أجل الصلاة، عندما عرفوا يقينًا أنهم فعلًا أثناء تأدية صلاتهم إنما هم في تناجي مع الله، فشرعوا يغسلون يوميًا؛ لأن الشريعة تتطلب منهم الطهارة بل إنهم أصبحوا يباهون مواطنيهم من ذوي المعتقدات المحليّة بملابسهم البيضاء النظيفة .

هوامـــش :

([1]) ابن بطوطة: تحفة النظار في غرائب الأمصار وعجائب الأسفار،ج1،القاهرة،1928م، ص200.

([2]) المصدر نفسه، ص201.

([3]) الحسن الوزان: وصف أفريقيا "ترجمة" محمد حجي، محمد الأخضر، دار الغرب الإسلامي، الطبعة الثانية، بيروث،1983م، ص170.

([4]) محمود كعت: تاريخ الفتاش في أخبار البلدان والجيوش وأكابر الناس، نشر هوداس، باريس،1964م، ص32-61. أنظر: السعدي: تاريخ السودان، هوداس، باريس، 1964م، ص130.

([5]) نفس المصدر، ص65.

([6]) محمود كعت: مصدر سابق، ص119.

([7]) زاهر رياض: الممالك الإسلامية في غرب إفريقيا وأثرها في تجارة الذهب عبر الصحراء الكبرى، المطبعة الفنيّة الحديثة، القاهرة، 1968م، ص164.

([8]) الحسن الوزان: مصدر سابق، ص87. انظر: أرنولد توماس: الدعوة إلى الإسلام، ترجمة: حسن إبراهيم حسن وآخرون، مكتبة النهضة المصرية، القاهرة، 1970م، ص356.

([9]) المرجع نفسه، ص353.

([10]) زمان عبيد وناس: تاريخ مدينة كاو منذ نشأتها حتى سقوط إمبراطورية السونغاي في إفريقيا العربية جنوب الصحراء (81-999ه/700-1590م)، دار الإيام للنشر والتوزيع، عمان،2015م، ص173.

(11) تجدر الإشارة هنا إلى أن أبرز الرحالة الذين زاروا المنطقة هو ابن بطوطة الذي سجل الكثير من المعلومات الهامة عن الأوضاع الاجتماعية للمنطقة، والحسن الوزان الذي زارها أيضًا في القرن العاشر الهجري السادس عشر ميلادي وأمدنا بالكثير من المعلومات عن منطقة السودان العربي.

(12) بوجمعة الطرابلسي: يبعث برسالة إلى أحمد بابا التنبكتي، مخطوط، مركز أحمد بابا التنبكتي للتوثيق والبحوث التاريخية، تمبكتو، مالي، رقم 778، ورقة 1.

([13]) الحسن الوزان: مصدر سابق، ص159- 160. انظر: عبد الرحمن السيوطي: الحاوي للفتاوى ، دار الكتب العلمية، القاهرة ، 1983م، ص291.

(14) مُطير سعد غيث: التأثير العربي الإسلامي في السودان الغربي ، دار الرواد، طرابلس، 1996م، ص214.
(15) القلقشندي: صبح الأعشى في صناعة الإنشاء، دار الكتب العلمية،ح5- ج8، بيروث،1987م، ص294.
(16) محمود سلام زناتي: الإسلام والتقاليد القبلية في إفريقيا، دار النهضة العربية، بيروت، 1969م، ص163.
(17) الإدريسي: نزهة المشتاق في اختراق الآفاق،"تحقيق"روبيتاتشي، مكتبة الثقافة الدينية،القاهرة،1994م، ص22.
(18) الحسن الوزان: مصدر سابق، ص176.
(19) محمد عوض محمد: الشعوب والسُلالات الإفريقية، الدار المصرية للتأليف والترجمة، القاهرة، 1965م، ص40. وعلى خلاف ذلك نجد لدى بعض الجماعات الأخرى من مجتمع السودان الغربي نمط آخر من الزواج، وهو نمط الزواج الإكسوجامي (الزواج الاغترابي) لاعتقادهم أن الزواج من الأقارب لا يجلب إلا الأمراض والتشوّهات أو موت للأجنّة؛ وهذا بدوره سيؤدي إلى تغيُّرات بعيدة المدى في مفاهيم القرابة والنسب، وفي بعض المجتمعات في السودان الغربي يمتدّ التحريم حتى تشمل العشيرة التي تنتمي إليها الأم أيضًا، فعند الأشانتي التي تعتمد في نظامها الاجتماعي على أساس القرابة على القاعدة الوراثية عن طريق الأم، وأنَّ نظام الأم يسود كل عشيرة، ولكل عشيرة من هذه العشائر عادات وتقاليد تتصل بنشأتها في عُرفهم لظهور الأم الجدة على وجه الأرض، وكل عشيرة لا بد لها أن تتجنب الزواج من عشيرة لها نفس العادات والتقاليد، وهكذا يسود الاغتراب الزنجي الذي يعمل بهذه التقاليد.أنظر: فاروق إسماعيل: تأثير الإسلام على الوثنية، دراسة أنثروبولوجية، دار المعرفة الجامعية، الإسكندرية، 1987م، ص170.
(20) فانسان مونتان: الإسلام في إفريقيا السوداء، "ترجمة" إلياس حنا إلياس، دار أبعاد للطباعة والنشر والتوزيع، بيروت، 1983م، ص193.
(21) الحسن الوزان: مصدر سابق، ص64.
(22) Davidson. Bazil, The story of Africa, Micheal Beazlez, London, 1983. PP.356 – 370.
(23) Smith, (M.G) Government in Zazzau, a study of government in the Hausa chiefdom of Zaria in northern Nigeria from (1800 to 1950) Oxford, 1960 P. 256.
(24) الحسن الوزان: مصدر سابق، ص159.
25)- المصدر نفسه، ص160.
(26) مجهول: الاستبصار في عجائب الأمصار ، تعليق: سعد زغلول عبدالحميد، دار الشؤون الثقافية العامة، بغداد،1985م ، ص223.
(27) عبد الله عبد الرازق إبراهيم: الإسلام والحضارة الإسلامية في نيجريا، مكتبة الأنجلو المصرية القاهرة، 1984م، ص207.
(28) محمود سلام زناتي : الإسلام والتقاليد القبلية في أفريقيا، دار النهضة العربية ، بيروث،1969م ،ص 11-12.
(29) محمود زناتي: مرجع سابق، ص13.
(30) الحسن الوزان: مصدر سابق، ص170.
(31) ابن بطوطة: مصدر سابق، ص291.
(32) مجهول: الاستبصار في عجائب الأمصار ، مصدر سابق، ص221.

(33) فاي منصور علي: أسكيا الحاج محمد وإحياء دولة الصنغاي الاسلامية (889-935ه/1493-159م)، منشورات كلية الدعوة الاسلامية، طرابلس ، ليبيا، 1997م، ص195.
(34) محمود سلام زناتي: مرجع سابق، ص15.
(35) ابن بطوطة: مصدر سابق، ص678. وفي موقف آخر يروي لنا ابن بطوطة قصة أثارت اشمئزازه واحتقر فاعلها، فيقول: "أن شأنهم عجيب وأمرهم غريب، وأن رجالهم لا غيرة لديهم، دخلت يومًا على أبي محمد يندركان الذي قدمنا في صحبته فوجدته قاعدًا على بساط وفي وسط داره سرير مُظلّل عليه امرأة معها رجل قاعد، وهما يتحدثان، فقلت له: من هذه المرأة، فقال: هى زوجتي فقلت: وما الرجل الذي معها منها، فقال: صاحبها، فقلت له أترضى بهذا وأنت قد سكنت بلادنا وعرفت أمور الشرع فقال لي: مصاحبة النساء للرجال عندنا على خير وحسن طريقة لا تهمة فيها، ولسن كنساء بلادكم، فعجبت من رعونته، وانصرفت عنه فلم أعد إليه بعدها، واستدعاني مرات فلم أُجبه". أنظر: ابن بطوطة: مصدر سابق، ص678.
(36) الحسن الوزان: مصدر سابق، ص159 - 160.
(37) المصدر نفسة، ص176.
(38) محمد بن عمر التونسي: تحشيذ الاذهان بسيرة بلاد العرب والسودان" تحقيق" خليل محمود عساكر، مصطفى محمد سعد، المؤسسة المصرية العامة للتأليف والنشر ،القاهرة ، 1965 م ، ص2245 .
(39) محمود سلام زناتي: مرجع سابق،ص228.
(40) أبو الفضل أحمد بن محمد الميداني : مجمع الامثال تحقيق : محمد محي الدين عبدالحميد، دار الفكر،ط3، بيروث،1972م، رقم المثل 1250.
(41) محمود زناتي: مرجع سابق، ص227.